

**Medrese ve İlahiyat Kavşagında
İSLÂMÎ İLİMLER
(Uluslararası Sempozyum)**

المؤتمر الدولي للعلوم الإسلامية بين المدارس
التيقية التقليدية
والكليات التيقية المعاصرة

**Islamic Sciences at the Crossroad of Madrasah and Theology
(International Symposium)**

29 Haziran - 1 Temmuz 2012

29 June – 1 July 2012

2. Cilt

Editör

Yrd. Doç. Dr. İsmail NARİN



Bingöl Üniversitesi Yayınları

2013

الشيخ عبدالكريم المدرس وجهوده العلمية

بريفكاني^١ عابد حسن جميل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله وصحبه أجمعين: أما بعد فإن الدولة الإسلامية حفلت بتاريخها الطويل بمآثر جليلة سجلها العلماء في جهودهم العلمية ومواقفهم الخالدة التي أتسمت بالصدق والجرأة والإخلاص لله ولرسوله فصاروا نجوماً يهتدي بهم الحكام والمحكومون في ظلمات الحياة.

لقد أظهر العلماء في تلك العصور عزة الإسلام وأبانوا حقيقة الشريعة الإسلامية، وكل ذلك بصلابة موقفهم من الحكام المنحرفين منها ولو قيد أنملة، وكما عالجوا جميع شؤون الدولة، ووفاءً لحق هؤلاء العلماء المجاهدين الذين نذروا حياتهم في خدمة العلم فمن الضروري أن نكتب عن حياة هؤلاء العلماء الأفاضل الذين قضوا حياتهم في سبيل العلم وخدمة دينهم ولا سيما علماؤنا الأكراد من بني جلدتنا الذين دافعوا عن الإسلام وساهموا في بث الوعي الديني والحقوق المشروعة للشعب الكوردي المضطهد على مر القرون الاضطهاد الذي لم نر له من رادع ولا ناقد من شتى شعوب العالم دولاً إسلامية وعربية، فشعبنا الكردي أولى من غيره للتمتع بحقوقه المشروعة لفضله الكبير على الشعوب الإسلامي فقد خدموا التراث الإسلامي قديماً وحديثاً، فهذا أبن الحاجب المالكي الكردي الشهرزوي والحافظ العراقي صاحب التبصرة من أربيل والآمدي صاحب التصانيف الكثيرة من آمد

١ الدكتور، استاذ اصول الفقه الاسلامي المساعد كلية القانون والسياسة جامعة دهوك. إقليم كردستان العراق. [d.abedbrifkany@yahoo.com].

وأبن الصلاح الشهرزوري المحدث وأبن تيمية الحراني المجاهد الكبير بقلمه وسيفه، ومن جاؤا بعدهم في القرن العشرين أمثال ابن آدم البالكلي ومعروف النودهي والباليسانى والشيخ عبد الكريم المدرس، ومنذ أمد بعيد يحدثني نفسي أن أكتب عن عالم من علماء الأكراد وقد كانت لي زيارات خاصة للشيخ الجليل عبد الكريم المدرس في الحضرة القادرية في بغداد حينما كنت طالباً في كلية الشريعة في الدراسات الأولية والدراسات العليا وقد رزقني الله بلقائه بأيام قبل حياته، ولذا وقع اختياري على الكتابة عن شخصية الشيخ وعصره ومسيرته العلمية وجهوده في التدريس والتأليف ويشتمل البحث على مبحثين:

المبحث الأول: حياته وعصره

المطلب الأول: حياته

المطلب الثاني: عصره

المبحث الثاني: مسيرته العلمية ومصنفاته

المطلب الأول: مسيرة العلمية

المطلب الثاني: مؤلفاته

خاتمة في أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

المبحث الأول

حياته وعصره

خصصت هذا المبحث لحياة الشيخ من ولادته إلى وفاته، والمراحل التي مر بها في حياته من عسر إلى يسر، وتناولت فيه صفات الشيخ والعصور التي عاش فيها ومواقفه الإسلامية والقومية حيث لم يخف في الله لومة لائم، ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: حياته

المطلب الثاني: عصره

المطلب الأول

حياته

وفاءً لأهل الفضل والامتنان وامتنالاً لقول الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم): (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(١)، فلا يسعني إلا أن أقدم بالشكر الجزيل لكل من علمني حرفاً وأعانني على إكمال مسيرتي العلمية، وكما أرى من الواجب إتباع منهج المشايخ الذين تشرفت بالقراءة عليهم أو الالتقاء بهم، ومن تشرفت بلقائه وباستمرار هو الشيخ عبد الكريم المدرس، ولذا فمن الضروري كتابة صفحات عن حياته ومسيرته العلمية.

هو عبد الكريم بن محمد بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد الشهير (بمحمد خجي) ولد في قرية تكية سنة (١٣٢٣) هـ، (١٩٠٥ م) ما يذكر من المواليد تقريبي وليس مطابقاً للواقع، ولكي نتأكد من مولده ومسقط رأسه ننقل نصاً من قول الشيخ (أنا عبد الكريم بن محمد المتولد في قرية (تكية) على مقربة من مركز ناحية خورمال (محافظة السليمانية)، ابن فتاح ابن سليمان ابن مصطفى ابن محمد من عشيرة (هوز قاضي) القاطنين في الوقت الحاضر في مركز ناحية السيد صادق وفي قرية (مايندول) على عين (سەراو سوبجان آغا) وفي قرى أخرى مجاورة لها، ولدت في شهر ربيع الأول في موسم الربيع سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين هجرية)^(٢).

وأما لقبه فقد اشتهر بالمدرس لكونه مدرساً في مدرسة بياره التابعة لقضاء حلبجة في محافظة السليمانية، وقد لقب بهذا الاسم لأنه قام بالتدريس طلبة خمس وعشرين سنة في تلك المدرسة، وأما لقبه في الشعر فقد اختار لنفسه لقب (نامي) حيث يقول الشيخ في كتابه نور القرآن:

ناو نيشانم بە شیوێ خالیص عبد الكريم ی لێقەب مودەررِیس

ناز ناوێ شیعریم بە شیوێ عامی بۆ بابی ئەدب ئەنوسم (نامي)^(٤).

٢ (الحديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه ٢٥٥ / ٤ وبالرقم (٤٨١١).

٣ (علماؤنا في خدمة العلم والدين، عبد الكريم محمد المدرس عني بنشره محمد علي القره داغي، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م: ٣٢٤ وما بعدها.

٤ (نر القرآن، الملا عبد الكريم المدرس، دار الآفاق العربية، بغداد، ١٩٨٥م، ص ٣٣٦.

وفي خاتمة بعض كتبه يلقب نفسه بالشهرزوري فيقول: (وأنا الخادم للدين عبد الكريم محمد الكردي الشهرزوري)^(٥).

نشأ المدرس في عائلة دينية فقيرة، فقد كان لأبيه صوفي محمد دور بارز في نصح وتوجيه ابنه الوحيد، وأمّه (خانم) كانت تدعوه (حاجي ملا عبد الكريم)، وكان الأبوان منذ صغره يأملان فيه الرشد، وقد حقق الله أملهما فصار الابن عالماً كبيراً يضرب به المثل في العراق وفي كردستان.

وأما أسرته: فقد تزوج الشيخ ثلاث زوجات فأما الزوجة الأولى هي آمنة بنت الملا عبد الله ورزقه منها بابنين هما فاتح وأسعد فقد عاش الأول ستين سنة وتوفي في ١٦/٥/١٩٩١م، وأما أسعد فقد مات وعمره لم يتجاوز أربع سنين، وأما الزوجة الثانية فهي آمنة بنت الشيخ علي ورزقه الله منها بأولاد هم محمد فقد أشتهر بالكتابة وقد حصل على الإجازة العلمية وله مؤلفات تناهز عشرين كتاباً، وعالية وعطية وصلاح الدين وأحمد وقد توفي منذ صغره، وأما الزوجة الثالثة وهي آمنة بنت الشيخ عبد الرحمن الشميراني وقد رزقه الله منها فاطمة ومحمد نجيب وجمال وعبد القادر ولم يبق من هؤلاء إلا محمد نجيب وهو الآن ساكن في السليمانية من خريجي كلية الإدارة والاقتصاد، وأما غيره فقد ماتوا منذ صغرهم^(٦).

وأما صفاته: فقد رأيت الشيخ معتدل القامة ليس بالقصير ولا بالطويل وكان إلى القصر أقرب، وكان متواضعاً تقياً ورعاً، وكان مجلسه حافلاً بالعلماء والصالحين والطلاب، ومن صفاته الجرأة على الفتوى وقول الحق والالتزام بما صدر من الأئمة المجتهدين الذين اعتمدوا على مصادر التشريع الإسلامي من كتاب وسنة وغيرها، وقد كنت جالساً في غرفته الصغيرة في التكية القادرية بغداد جاءه رجل يسأله عن حكم السرقفلية فأجاب الشيخ بحرمته ولم يتردد في ذلك، والمراد به والله أعلم أن المستأجر لا يجوز أخذ مبلغ من المال مقبل إخلاء المحل إلا إذا كان الاتفاق بين المؤجر والمستأجر بعقد لمدة معينة فلا مانع من استئجار المحل خلال تلك المدة وهذا من حق المستأجر، وأما إذا أنتهت مدة الإيجار فيحق للمستأجر

٥) تفسيري نامى بو قورئانى بيروز، ملا عبد الكريم المدرس، الطبعة الأولى، مطبعة الوطن العربي، بغداد ١٩٨٠، ص ٦٣٧.

٦) ينظر: العلامة عبد الكريم المدرس ومنهجه في تفسير القرآن وعلومه، عبد الدائم معروف الهوراماني، الطبعة الأولى، مكتبة التفسير والنشر اربيل، ص ٦٣ وما بعدها، وأيام من حياتي للشيخ، ص ٦٦ وما بعدها.

أن يطلب المبلغ الذي صرفه خلال مدة الإجازة وعلى المستأجر الجديد الاتفاق مع المالك الأصلي.

وأما وفاته: فقد أنتقل الشيخ رحمه الله تعالى إلى ديوان ربه سبحانه وتعالى ليلة ٢٠٠٥/٨/٣١، ودفن في بغداد بحضور جمع من وجهائه وعلمائه.

المطلب الثاني

عصره

عاش الشيخ المدرس - رحمه الله - ما بين سنة (١٨٩٩م - ٢٠٠٥م) وشهد ثلاثة قرون، فقد شهد العالم الحريين العالميتين الأولى والثانية من سنة (١٩١٤م) إلى سنة (١٩٤٥م)، فقد كان للحرب العالمية الأولى تأثير كبير في حياة الشيخ المدرس فأضطرب به الأمر إلى السفر إلى السلিমانيّة سنة (١٩١٦م) ونظراً للظروف المعاشية القاسية رجع إلى هورامان واستقر في مدرسة خانقاه وذلك في سنة (١٩١٧م) وبما أن كردستان كان مسرحاً للأحداث التي شهدها العراق فقد كان لها التأثير الكبير في المسيرة العلمية للعلماء الذين عاصروا السلطات التي حكمت العراق ومنها الحكم الملكي وإلى عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ثم بعد موته إثر تحطم طائرته في سنة (١٩٦٦م) تولى عبد الرحمن محمد عارف رئاسة العراق وبسبب هذه الأحداث لقد ترك الشيخ مسقط رأسه وتوجه إلى محافظة كركوك وسكن في تكية الطالباني وذلك في منتصف الخمسينات، ثم رحل إلى بغداد في بداية سنة (١٩٦٠م) إلى أن استقر في الحضرة القادرية واستمر في التدريس والتأليف، ولقد عاصر الشيخ أحداث الحرب العراقية الإيرانية والحرب العراقية الكويتية والمآسي التي لحقت بالكرد من جراء الأنفال التي هاجم فيها صدام الأكراد ولم يفرق في غزوه لكردستان بن شيخ وشاب وطفل ولا امرأة، وفي معترك السياسات التي عاصرها الشيخ إلى وفاته استطاع أن يتعد عن الإفتاء في المواقف التي واجهها وأنعزل عن الناس متفرغاً للتدريس.

وأما من الناحية الاقتصادية فقد تأثر الشيخ المدرس بالظروف التي عاش فيها بدءاً من الحرب العالمية الأولى وإلى الحصار العالمي على العراق بسبب دخول الجيش العراقي الكويت، إلا أن الشيخ بقي قانعاً بما رزقه الله وقد سخر له من يعينه ولم يهبط من عزيمته واستمر في وظيفة التدريس والتأليف.

وأما من الناحية الثقافية والاجتماعية فقد كان عصر الشيخ عصر العلم حيث كانت

الطلبة كخلايا النحل في المساجد والعلماء مستمرين في تدريسهم وذلك بفضل الله وفضل المحسنين الذين قدموا كل ما لديهم من الطعام وبإمكانيتهم المحدود لطلبة العلم في قرى كردستان فمساجدها كانت تشبه الجامعات في العصر الحاضر، وأما على المستوى الاجتماعي فقد كان الشيخ محبوباً لدى الجميع من الرؤساء والأمراء وكلما حضرت مجلسه أرى من أصناف الناس يستمعون إلى كلامه والشيخ مستمر في تدريسه وهو يفتي في نفس الوقت من يسأله عن واقعة أو حادثة وناهيك عن سؤاله عن أحوال الزائرين له من غير أن يفرق بين صغير وكبير، وهكذا عاش الشيخ رحمه الله عالماً فاضلاً بعيداً عن السياسة زاهداً عن الدنيا وزخارفها^(٧).

المبحث الثاني

مسيرته العلمية ومصنفاته

سأخصص هذا المبحث للكلام عن المسيرة العلمية للشيخ المدرس والمدارس الدينية التي تنقل فيها، وبيان المناهج التي تم تدريسها والمراحل التي يمر بها طالب العلم الديني في كردستان بدءاً من ختم القرآن الكريم انتهاء بالإجازة العلمية التي يحصل عليها الطالب، وفي حفل مهيب تقام في آخر مدرسة دينية يتلقى فيها الطالب دروساً في صحيح البخاري وصحيح مسلم وبعد إكمال جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه ويكون الطالب مجازاً على آخر شيخ يدرس عليه وكما هو المعتاد، ويحضر حفل منح الإجازة العلمية مختار القرية ووجهاءها وجمع غفير من المصلين في المسجد، وأذكر أهم المصنفات التي ألفها الشيخ، ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: مسيرته العلمية.

المطلب الثاني: آثاره العلمية وأهم مؤلفاته

المطلب الأول

مسيرته العلمية

أنقل نبذة عن مسيرة الشيخ العلمية نقلاً عنه فيقول: (ولما تميزت بدأت بالدراسة

٧ (١) ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين: ٣٢٨، والعلامة عبد الكريم المدرس، ٢١ وما بعدها.

وختمت القرآن الكريم وبعض الكتب الصغار الدينية، وتوفي والدي وأنا في هذه الحالة، فوفقني ربي وأعاني بفضلله، وسعت والدتي غفر الله لها من أعمامي وأقاربي في دوام دراستي، فاستقمت على الدراسة حتى بدأت أول محرم ألف وثلاثمائة وأحدى ثلاثين بدراسة التصريف الزنجاني في علم الصرف. فتجولت في المدارس وترقيت ووقعت تحت رعاية أحد العلماء من أصدقاء والدي، فقرأت عنده المقدمات النحوية والصرف حتى مبحث التمييز من كتاب شرح الجامي، فنشبت الحرب العالمية الأولى وسافرت إلى السلিমانيّة وسكنت في مسجد ملكندي أولاً ثم في مسجد الملا محمد أمين الباليكدي في محلة سرشقام، وبقيت مدة قرأت فيها شرح السيوطي لألفية ابن مالك رحمه الله تعالى.

ولما ظهرت بادرة القحط الشديد رجعنا من السلिमانيّة إلى هورامان، دخلت مدرسة خانقاه دورود في إدارة حضرة الشيخ علاء الدين ابن حضرة الشيخ عمر ضياء الدين ابن حضرة الشيخ عثمان سراج الدين فرعاني رعاية أبوية مادية ومعنوية، وبقيت هناك ودرست النحو والمنطق وآداب البحث والتشريع في الفلكيات والفقه فتوفرت عندي مادة الاستفادة من المطالعة حتى انتقل الشيخ إلى مركزه الأصلي خانقاه ببياره، ففارقته مدة أشهر، وبعدها رجعت بأمره إلى بيارة، وسكنت في مدرسة أبي عبيدة عند الأستاذ العالم الجليل الملا محمد سعيد العبيدي، وبدأت ببرهان الكلنبوي في المنطق وبقيت مدة ثم اقتضى الأمر لانتقالي منها إلى العالم الملا محمود في بالك ودرست عنده مدة ثمانية أشهر، وقرأت فرائض الشيخ معروف النودهي وبدأت بشرح العقائد النسفية ووصلت بمبحث الرؤية منه، فرجعت بأمر الشيخ المرشد علاء الدين إلى بيارة وقد عين الأستاذ ملا أحمد ره ش مدرساً لها، فختمت شرح العقائد، وقرأت منظومة المولوي باللغة الكردية في العقائد، وابتدأت بكتاب مختصر المطول في البلاغة حتى وصلت باب أحوال المسند إليه منه، وعند ذلك انزعج الأستاذ الملا أحمد وانتقل من بيارة إلى السلिमانيّة ونحن معه ووصلنا شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وأربعين هجرية، ونزلنا ضيفاً على خانقاه حضرة مولانا خالد والمدرس يومئذ العلامة الشهير بابن القردغي الشيخ عمر، جزاه الله عن المسلمين خيراً فأمر ببقائي في مدرسته وذهب الأستاذ ملا أحمد إلى قرية كلاله، وتعين مدرساً عند الحاج محمد آغا بن عباس الميرودي.

بعد إقامتي عند حضرة الأستاذ المعزى إليه فتحت علي أفاق جديدة لكسب العلوم والتدقيق والتحقيق وكتابة الحواشي والتعليق، فتداركت ما فاتني، وبادرت إلى اكتساب ما يهمني من العلوم فقرأت عنده أقصى الأماني في البلاغة والفريدة في النحو وجمع الجوامع في

أصول الفقه ومبحث الخلع في التحفة، واستفدت كثيراً من الفوائد التي لا توجد عند غيره من مختلف العلوم، فضلاً عن فوائد الاستفادة من أخلاقه العالية، وعزة نفسه وزهده وقناعته واعتماده على الله الكريم، فأمرني بأخذ الإجازة العلمية وشرفني بالإجازة في محفل كبير من كبار العلماء، حضر فيه السادة الشيخ بابا علي التكيه ئي، والشيخ محمد نجيب القرداغي والشيخ جلال القرداغي ولفيف من الأصدقاء، وكتب ورقات الإجازة بيده الشريفة، وقرأها في المحفل الأستاذ الكبير الشيخ محمد نجيب، وكان ذلك سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة وأربعين هجرية والشهر شعبان المعظم والموسم موسم الربيع^(٨).

والذي يبدو لي أن الدراسة الدينية في كردستان العراق كانت تمر بمراحل عديدة وكما ظهر من كلام الشيخ المدرس وعلى النحو التالي:

١- من أهم المراحل التي يمر بها طالب العلم الديني هي ختم القرآن الكريم بأن يقرأ على أقرب شيخ يعرف قراءة كلام الله ولا يشترط فيه العلم بلغة العرب والتفسير والفقه، وإنما الهدف تعليم الطالب قراءة المصحف وكأساس للخصوص في تعليم العلوم الشرعية في المراحل الأخرى.

٢- من المراحل التي يمر بها طالب العلم الشرعي هي تعليم قواعد اللغة العربية والتي لا بد منها للاعتماد عليها في تدريس كتب الفقه والتفسير والحديث وأصول الفقه، وبما أن مصادر العلوم الشرعية ترجع إلى القرآن الكريم وقد نزل بلغة العرب فكانت من الضروريات التي جعلها علماؤنا في مقدمة علومهم التي يبدأون بها بعد ختم القرآن الكريم، وقد اشتهر علم النحو والصرف في الحلقات العلمية في مساجد كردستان (بعلم الآلة) وتتمثل في تصريف الزنجاني ومثنى الأجرومية وشرح العوامل ألفية ابن مالك مع شرحه لابن عقيل وقد صار الكتاب الأخير منهجاً معتمداً في المعاهد الإسلامية وكليات الشريعة وأقسام اللغة العربية في كليات الآداب والتربية في الدول العربية وغير العربية، وقد اعتادت كليات الإلهيات في إتباع تلك الطريقة وجعلوا مدة التدريس في الكلية (٥) سنوات فاعتبروا السنة الأولى خاصاً بتعليم مبادئ اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى المحلية، وقد أعجبني تلك الطريقة حينما زرت كلية الإلهيات في جامعة دجلة بديار بكر في سنة (٢٠١١)، وقد بدأت جامعات إقليم كردستان بتخصيص السنة الأولى من شتى كليات الإقليم الأكاديمية والعلمية لتعليم

٨ (١) ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين: ٣٢٨، والعلامة عبد الكريم المدرس، ٣٢٥ وما بعدها.

اللغات العربية والإنكليزية والكردية إلا أنه بقيت مدة التدريس أربع سنوات وكما هو المعتاد، واقترح أن تكون المدة خمس سنوات لكي يستطيع الطالب أن يتخصص وبشكل دقيق في اختصاصه طيلة أربع سنوات.

٣- من المعلوم أن الهدف الرئيسي من تعليم العلوم الشرعية هو حصول الطالب على ملكة فقهية يستطيع أن يفتي بها الناس في حوادثهم اليومية والوقائع والنوازل التي تنزل بهم وذلك بعد الحصول على الإجازة العلمية وممارسة مهنة الإمامة والخطابة، فقد كان الإمام في المسجد في مقام المعلم والمفتي في قصبات وقرى كردستان، حيث لم تكن هناك مدارس رسمية ولهذا فالناس يتوجهون إلى حلقات العلم في المساجد وكانوا كخلايا النحل، وبما أن علم الفقه لا يمكن حصوله إلا بدراسة فقه الأئمة المجتهدين فقد كان تعليم الفقه الشافعي في كردستان يأتي في المرتبة الثالثة بعد ختم القرآن الكريم وعلم الآلة (النحو والصرف)، ومن أهم الكتب التي تدرس في فقه الشافعية هي فتح القريب لأبي شجاع ومغني المحتاج للشرييني بشرح المنهاج للنووي وإعانة الطالبين، وكما يدرس العقائد النسفية للتفتازاني والمختصر والمطول في البلاغة وعلم المنطق.

٤- في المرحلة الأخيرة يبدأ الطالب بقراءة دروس في صحيح البخاري وصحيح مسلم وكما يقرأ دروساً في جمع الجوامع في أصول الفقه الشافعي وعلى بعض المشايخ الكبار فيكون منح الإجازة العلمية على يد آخر شيخ قرأ عليه وكما هو المعتاد وقد ظهر في كلام الشيخ المدرس من خلال مسيرته العلمية.

يظهر من العرض البسيط للمنهج المتبع في المدارس الدينية في كردستان أنه كان منهجاً ومقرراً يضرب به المثل في أنحاء العراق وكان شبيهاً بالجامع الأزهر، ولكن من الضروري القول بأن دراسة علوم الحديث ومنتنه وعلم أصول الفقه كانت تأتي في المراحل الأخيرة، ومن الأولى أن يكون بعد إكمال الطالب علم الآلة لكي يتفنن في علوم الحديث والأصول كما تبهر في علوم النحو والصرف ثم يبدأ في دراسة الفقه، لأنه ومن الجدير بالذكر أن المنهج المذكور تخرج على طريقتيه كبار العلماء أمثال الشيخ المدرس ومعروف النودهي وملا يحيى المزوري وغيرهم، إلا أنني اقترحت تقديم علوم الحديث والأصول والبدء بها بعد علوم الآلة لجلب دب في نفوسهم الكسل وحب الدنيا، وكما يجب علينا أن لا ننسى فضل هؤلاء العلماء على شعبهم حيث تعلموا لغة قومهم كما تعلموا العربية من غير أن يكون تدريس

اللغة الكردية ضمن مقرراتهم الدراسة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على شعورهم القومي وحسهم الوطني فقد كان الشيخ يتقن الكردية ويؤلف فيها كما ألف بلغة العرب فقد فسر القرآن باللغة الكردية وسماه (تفسيرى نامى بو قورثانى بيروز).

المطلب الثاني

آثاره العلمية وأهم مؤلفاته

لقد ألف الشيخ المدرس كتباً كثيرة في العلوم المختلفة وباللغة العربية والكردية والفارسية، وعلى النحو التالي:

أ- مؤلفاته باللغة العربية: لقد تنوعت آثاره العلمية وكما يلي:

١- جهوده العلمية في التفسير: للشيخ تفسير للقرآن الكريم وسماه (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) ألفه سنة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) في بغداد طبع سنة (١٩٨٦ - ١٩٨٩م) في سبع مجلدات.

٢- وأما في العقائد للشيخ عدة كتب مطبوعة وهي جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام والوسيلة في شرح الفضيلة شرح لمنظمة المولوي في علم العقائد ونور الإيمان في العقائد ونور الإسلام.

٣- أما في الفقه فللشيخ عدة كتب مطبوعة وهي جواهر الفتاوى وإرشاد السالك إلى المناسك وصفوة اللائي من مستصفي الغزالي في أصول الفقه.

٤- وأما جهود في التأليف في اللغة العربية فقد ألف كتباً عديدة فيها: وهي المواهب الحميدة في حل الفريدة حل به نظم الفريدة لجلال السيوطي ورسائل العرفان في النحو الصرف والوضع والبيان.

ب- مؤلفاته باللغة الكردية: لقد ألف الشيخ كتباً كثيرة باللغة الكردية وهي: (سقرضاوى ثاين) منبع الإسلام، و (ثيمان وثيسلام) رسالة الإيمان والإسلام، و (ثيساسي سعادت) رسالة أساس السعادة، وأما في الفقه فله كتاب (شعريعتى ئيسلام) شريعة الإسلام في أربع مجلدات وعلى غرار مغنى المحتاج للشرييني بشرح المنهاج للنووي وكأنه ترجمه للفقه الشافعي في الكتاب المذكور.

ج- مؤلفاته باللغة الفارسية: لقد ألف الشيخ كتاباً للرد على منكري الاجتهاد والتقليد وسماه (شمشسر كاري ثرنسيمي رستطاري) وذلك للرد على رسالة محمد المردوخي السنية المسمى (نسيمي رستطاري) وله كتاب فوائد الفواتح شرح (فوائح) للعلامة المولوي.

وما ذكرته من مؤلفات الشيخ المطبوعة تعتبر جزءاً من آثاره العلمية، وهناك كتاب في تاريخ علماء الكرد المسمى (علماؤنا في خدمة العلم والدين) لقد ذكر الشيخ نبذة عن حياته كثير من علماء الكرد الذين خدموا الوطن، وله كتب مخطوطة لم تطبع إلى الآن وهي البركات الأحدية في شرح الصمدية في النحو والعلماء في العلمين في الوضع والاستعارة، و (نامةى حقيقت) رسالة الحقيقة، و (رؤذطاري ديانم) أيام حياتي، وهناك مؤلفات كثيرة للشيخ لم تسمح لي الفرصة أن أذكرها في بحثي هذا وإنما اكتفيت بذكر بعض منها لكي يظهر للقارئ الجهد الكبير الذي بذله الشيخ طيلة قرن من عمره لخدمة الدين والعلم^(٩).

والذي يبدو لي بعد ذكر أهم مؤلفات الشيخ المدرس أنه كان متصوفاً على مذهب السلف الصالح وقد تمذهب بمذهب الشافعية وهو المذهب المعتمد في أغلب مناطق كردستان في العراق وإيران وسوريا وتركيا المذهب الذي جمع بين الحديث والرأي، إلا أنه من الأحسن بيان منهج الشيخ في عقيدته ومذهبه الفقهي وكالآتي:

١- أما في مجال العقيدة فقد سلك الشيخ مسلك أهل التصوف وهو مسلك العلماء والأئمة المجتهدين وأتبع منهج الوسطية وكان بعيداً من التشدد والمغالاة، وفي هذا البحث الموجز أود أن أبين للقارئ مثالين يتضح فيهما منهج الشيخ وكما يلي:

أ- من الأمور المشروعة في الشريعة الإسلامية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١٠)، يقول الشيخ المدرس في كتابه نور الإسلام^(١١): (فبأي صيغة يصلي المسلم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينال الإحسان ويتقرب بها إلى الله تعالى، ولا وجه لإنكار صيغة من صيغة الصلوات ما دامت مفيدة لتشريفه وتعزيزه المطلوب مطلقاً، فلا وجه لإنكار بعض الناس للتصويت بالصلوات الشريفة بعد الأذان على المنابر).

٩ ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين: ٣٢٤ وما بعدها.

١٠ سورة الأحزاب: ٥٦.

١١ نور الإسلام، للشيخ عبد الكريم محمد المدرس، الدار العربية للطباعة ببغداد، ص ٨٦.

ما ذكره الشيخ من مشروعية الصلوات بعد الأذان جائز ومشروع ليس ببدعة كما فهمه البعض لأن البدعة إن كان المراد منها المعنى اللغوي فهناك أمور كثيرة من الواجبات والمستحبات لم تحدث في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأما البدعة بالمعنى الاصطلاحي فهي طريقة مختزعة في الدين يزاحم بها الشريعة، والمقصود منها الزيادة على الصلاة في أركانها كجعل الركوع ركوعين والزيادة في السجعات وأما الصلوات عقب الأذان على المنابر فلا يكون من قبيل ذلك ولا تدخل في باب البدع.

ب- الفقهاء منقسمون إلى مجتهدين ومقلدين، فمن حصل ملكه اجتهادية حرم عليه تقليد الغير وأما العامي الذي لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد فيجوز له تقليد الأئمة المجتهدين بل يجب عليه التقليد وهو الراجح، وفي هذا يقول الشيخ المدرس: (والتقليد هو الأخذ بقول إمام من أئمة الدين بدون معرفة دليلة استقلالاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٢) فإن الآية بظاهرها يشمل سؤال الجاهل للعالم^(١٣).

٢- أما من الناحية الفقهية فقد كان الشيخ شافعي المذهب ويفتي بآراء الإمام الشافعي إلا إذا اقتضت الضرورة للإفتاء بمذهب من المذاهب الأخرى، ولعل السبب في هذا أن الأكراد تمذهبوا بمذهب الإمام الشافعي قديماً ولم يكن هناك حاجة للعدول عن مذهبه لكي لا يقع الناس في حيرة من أمرهم، وقد فكر الشيخ في تأليف كتاب في فقه الشافعية وبلغه قومه حتى يتيسر للكرد فهم أمور دينه من غير أن يرجع إلى الفقهاء لبيان ما قد يصعب فهمه، وكما هو الحال في كتب الفقهاء كمغني المحتاج بشرح المنهاج للنووي والهداية للمرغيناني في فقه الحنفية والمغني لابن قدامة في فقه الحنابلة وشرح الدردير للمالكية وقد ألف هؤلاء الفقه بلوغ عصرهم وقد بدأ الكسل والخمول يظهر على طلبة العلوم الدينية في السنوات الأخيرة، فالطالب لا يريد أن يتعمق ويدقق في ألغاز الكتب الفقهية وبدأ يميل إلى المؤلفات العصرية التي تصلح للفتوى فقط ولا تعتبر بديلاً للتراث الفقهي الذي ورثناه من قادة الفقه والفكر، كالأئمة الأربعة (رحمهم الله تعالى)، وحسناً فعل الشيخ ما قام بتأليف في فقه الشافعية باللغة الكوردية وسماه (شريعتي ئيسلام) واستطيع أن أقول أنه ترجمة لكتاب المنهاج للإمام النووي في فقه الشافعي وقد صار مصدراً يرجع إليه طلاب الفقه كلما أشكل عليهم فهم عبارات المنهاج، وكما هو معلوم لدى الجميع قل من يفهم كل عبارات المنهاج

١٢ سورة النحل: ٤٣.

١٣ المصدر السابق، ص ١٧٨ - ١٧٩.

وإن كان هذا الكتاب هو المعتمد في الفتوى والتدريس قديماً وحديثاً وإلى الآن، ويقول الشيخ المدرس: (ويستم نوسراوى بزمانى طلة كةى خوم لة ئادابى ئايىنى ئيسلاما بنوسم و ناوم نا (شەرىعتى ئيسلام) ثم قال في خاتمة كتابه (الحمد لله لي بومة و لة دانانى بقرطى ية كة مى كتيبي (شەرىعتى ئيسلام) لة عەصرى روذى دوشەمە ريكةوتى روذى عەرفە (٩ ذي الحجة) سالى ١٢٧٨ هـ بامبەرى ١٤ى حوزيرانى ١٩٥٩ لة حوجرەى دەرەس وتنەوۋەى خومدالە تەكەى تالەباني لة كەركوك)^(١٤).

وفي النهاية أود أن أذكر أسلوب الشيخ في تأليف بعض كتبه منها (رېطەى رەهبەر لة عيلمى ئوصولى حەديسد) فقد وصف كتابه بأبيات شعرية، فيقول: (رېطەى رەهبەر):

ئەغلب هېنا و مە بەهيوای نەجاح

لە تەلېفە كەى شېخ (ابن الصلاح)

مەشهور لە ناوا بەشارە زوورى

كونيةى ئەبو عەمر ناوى عوثمانە

ناويى باوكيشى (عبد الرحمن)

(صلاح الدين). لة قەب لة ناوا

شيلةخانى يە لة خاك و ئاوا

ئېنض صەد و حەفتا و حەوت هيجرى بوو^(١٥).

خاتمة البحث

أود أن أبين للقارئ أهم النتائج التي توصلت إليها في ختام بحثي وهي:

١ - لقد عاش الشيخ قرناً من الزمن صرف فيه جل عمره وثمين وقته في سبيل دينه ونشر

١٤) شەرىعتى ئيسلام، تأليف ملا عبد الكريم المدرس الطبعة الأولى، مطبعة المجمع العلمي الكوردي، بغداد، ١٩٧٦م، ١: ٣ - ٣٠٥.

١٥) رېطەى رەهبەر لة عيلمى ئوصولى حديسد، تأليف ملا عبد الكريم مدرس، بأشراف صلاح الدين سنطاوى، الطبعة الأولى، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٥م،

العلم بين أمته ولاسيما بين بني جلدته الشعب الكردي.

٢- لقد عاصر الشيخ سلطات متعددة من الملكية وإلى الجمهورية وإلى سقوط صدام حسين ولم ينتم إلى حزب أو كتلة سياسية وبهذا بقي مستقلاً محايداً في أفكاره وقد ظهر هذا جلياً من خلال مؤلفاته التي ذكرناها.

٣- بعد العرض الوجيز لحياة الشيخ وعصره ومؤلفاته ظهر لي أن الشيخ صاحبه شعور قومي نتج عن المصائب والويلات التي حرت على الكورد ومنذ طفولته حيث عاصر كل ذلك في مسقط رأسه (بياره) وإلى كركوك وإلى بغداد عاصمة العراق التي أستقر فيها الشيخ طيلة نصف قرن، وشهد الحرب العراقية الإيرانية والكويتية مما أدى إلى قتل آلاف العراقيين وترحيل أغلب الأكراد من مناطق سكناهم، وبالرغم مما ألم بالشيخ فقد استمر في تفسير القرآن الكريم باللغة الكردية وسماه (تفسيرى نامى بو قروئانى ثيروز).

٤- من خلال هذا البحث الموجز تبين لي بأن الشيخ كان متصوفاً شافعيّاً كردياً لم يتغير شخصيته وكما هو حال أغلب العلماء الذين تأثروا بمواقف الحكام وكما قيل فالشيخ لم يزعره أمواج الرياح.

دوماهيكاً ظه كولينى

مه ثيخوشه بو خاندەزانی هیدا طرنطزین ئەنجامیت ئەم طههشتینى لدوماهيكاً
ظه كولينى خو خویا كەین ئەوژى ئەظهنة:

١- شیخ ل ضه ركه كى ذ دەمى ذیاية هه مو تهمهتى خو و دەمى خو یی ثر بها د ريكاً
ثاینى خو و به لافكرنا زانستى دنافية رانه ته واه خو و ملله تى خو یی كورد مه زاختینه، و كیم
كه سن وه كهه ظیت وى هه بن كو خزمه تا ظى ثاینى بطیائی خو و سهرو مالى خو كريت.

٢- شیخى ضه ندين سهردەم و ده سههلات ذ ئادشاهی و كوماربی تاكو ذ نافضونا صدام
حسین بوراندینه و نهاتهیه طریدان ب ض ثارت یان قه باریت سیاسى به لكو یی سه رة خو
بو ل هزرو بیریت خو ئەظه ضه نده خویا دبیت ل نظیسینییت وى ییت مه ئاماده تیکرى.

٣- ثشتی دیاركرنا ئوختهیا ذیانا شیخى و سهردەمى وى و نظیسینییت وى بو من دیار بو
كو شیخ خودان ههسته كا نه ته ووهی بو ذ ئەنجامى وان كارەسا تا و دهرده سه ریا ییت به سه رى

كورداهاتى هەر زدهمى زاروكينيا وى زدهمى بونا وى ل (بهياره) تاكو كهركوكى بو بهغدا ثابتهختى عيراقى كو لى ئاكنجى بوى بو دهمى نيف ضاخي و ل شترى عيراقى و ئيراني و كويتى ئاشنا بو كو ببو ئهطهري كوشتنا هزارهها ذعيراقيان و وراطةطوهاستنا زوربهى كوردان زدهطهري ئاكنجيا وان، و سهرةراى يا ب سهري شيوخى هاتى وئى داخبار بوى ي. بهردهوام بو ل شروطة كرنا قورئانا ئيروز بزمايى كوردى و نافكر ب (تفسيرنامه بو قورئاني ئيروز).

٤- ل ظى طه كولينا كورت بو من ديار بو كو شيخ صوفيه كى شافعى ي. كورد بو و كه سايهتيا وى نه هاته طه ورين وه كو طه لك زانايان داخبار ب ئاستى دهسه لاتدارا وكو هاتيه طوتن (ئيليت باى شيخ نه طوهارت).

مصادر البحث

- ١- أيام من حياتي للشيخ المدرس، مخطوط.
- ٢- تفسيرى نامى بو قورئاني بيروز، ملا عبد الكريم المدرس، الطبعة الأولى، مطبعة الوطن العربي.
- ٣- ريطه رقهبر له عيلمي ئوصولي حديسد، تأليف ملا عبد الكريم مدرس، بأشراف صلاح الدين سنطاوى، الطبعة الأولى، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٤- سنن أبي داود، نشر دار إحياء السنة المحمدية بمصر.
- ٥- شهريعتى ئيسلام، تأليف ملا عبد الكريم المدرس الطبعة الأولى، مطبعة المجمع العلمي الكوردي، بغداد، ١٩٧٦م.
- ٦- العلامة عبد الكريم المدرس ومنهجه فى تفسير القرآن وعلومه، عبد الدائم معروف الهوراماني، الطبعة الأولى، مكتبة التفسير والنشر اربيل.
- ٧- علماؤنا فى خدمة العلم والدين، عبد الكريم محمد المدرس عني بنشره محمد علي القره داغي، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

۸- نور الإسلام، للشيخ عبد الكريم محمد المدرس، الدار العربية للطباعة ببغداد.

۹- نور القرآن، الملا عبد الكريم المدرس، دار الآفاق العربية، بغداد، ۱۹۸۵م.